

الصـرفـة

"معانيها والقائلون بها : دراسة استقرائية نقدية"

إعداد الدكتور:

عبد الله بن سالم بن حمد الهنائي

الأستاذ المساعد في قسـم العلـوم الإسلامية

كليــة التربيــة بجامعــة السلطان قابوس






مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



الملخص

الصرفة معانيها والقائلون بها دراسة استقرائية نقدية.

القرآن معجز ببلاغته وبيانه، ومع هذا فقد ذهب بعض العلماء إلى أن القرآن معجز بالصرفة فما هي الصرفة؟ وكيف تضبط؟ وما معانيها؟ ومن هم القائلون بها؟ وما أدلتهم وكيف يرد عليها؟

من خلال مشكلة الدراسة السابقة هدف البحث إلى ضبط الصرفة لغة واصطلاحا وبيان معانيها والكشف عن أسماء القائلين بالصرفة زمانا ومكانا وإظهار أدلتهم مع الرد عليها. واستخدم الباحث مناهج عدة منها المنهج الاستقرائي باستقراء كتب البلاغة والإعجاز، والمقارن من خلال المقارنة بين هذه الكتب، وكذا المنهج التحليلي لتحليل بعض الآراء، كما استخدم المنهج النقدي لأجل نقد بعض الآراء بالأدلة العلمية.

وتكون البحث من ثلاثة مباحث فالمبحث الأول ركز على تعريف الصرفة لغة واصطلاحا بضبطها وبيان معانيها، كما حوى نبذة تأريخية عن الصرفة، والمبحث الثاني بين العلماء القائلين بالصرفة من خلال كتبهم أو من خلال أقرب الناس إليهم مذهبا، ثم جاء المبحث الثالث وفيه تم بيان أدلة الفرقاء في الصرفة مع بيان القول الراجح بالأدلة، وتوصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها أن الصرفة بفتح الصاد اسم مرة ولها ثلاثة معان: فهي إما صرفة قسرية، وإما أن تكون بسلب العلوم، وإما أن تكون ابتداء من الله، وكل هذه المعاني الثلاثة لها من يقول بها مستدلا بأدلة ثبت ضعفها بالحجة العلمية، كما أن جمهور الأمة نفوا الصرفة؛ لأن القول بها يؤدي إلى الكسل والتواكل، وعليه فإن القرآن معجز ببيانه وبلاغته.

الكلمات المفتاحية: الصرفة- ابتداء - سلب العلوم - معجزة القرآن - البلاغة - الإعجاز





abstract

ASSRFAH (Diversion of intent) : its meaning and advocates.

A critical Survey Research

BY: DR Abdullah bin Salim bin Hamad Al Hinai Assistant Professor, Department of Islamic Sciences, College of Education, Sultan Qaboos University E.MAIL: Abdullahsalim22@hotmail.com

The Qur'an is miraculous in its rhetoric and meanings. However, some religious scholars have argued that the Qur'aan is a miracle in ASSRFAH (Diversion of intent). What is ASSRFAH? How is it adjusted? Who advocate it? What is their evidence? How to respond to them?

The study aims to adjust ASSRFAH idiomatically and linguistically and showing its meanings and discovering its advocates with their times and place as well as showing their evidence in the responses to them.

The researcher used several research methods, including the survey method by extrapolating the books of rhetoric and miracles, the comparative method for comparing these books in addition to the analysis method for analyzing the opinions and the critical method for critiquing some of the views with scientific evidence.

The research consists of three chapters: The first one focused on the definition of ASSRFAH idiomatically and linguistically, in terms of showing its meaning and adjustments. It also entails a historical overview about ASSARFAH. The second chapter showed the advocating scholars of ASSRFAH through their books or those who are close to them from the same faith. The third chapter, showed the evidence of all parties stating the best correct views with evidence. The main results of the study were that ASSARFA has three meanings: They are either

Purely coercive, or despoiling form other fields/disciplines or to be initiated by God. All these three meanings have their own advocates and evidence with scientific support. Also, the majority of scholars (GUMHOUR ALOLAMA) denied ASSARFA because advocating it leads to laziness and dependence. Therefore, Quran is a miracle in its rhetoric and meanings.

Keywords: Pure - Beginning - Robbery of Science - Miracle of the Koran - Rhetoric - Miracles



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وجعل معجزته العظمى الفصاحة والبيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تحدى العرب العرباء والخليقة جمعاء أن يأتوا بمثل هذا القرآن. ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ الإسراء: ٨٨



قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ البقرة: ٢٣

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله وبعد:

فإن القرآن الكريم أنزله الله على عبده محمد ليكون معجزة كبرى له إلى قيام الساعة من حيث بلاغته وبيانه، ومع هذا فإن طائفة من أهل العلم ذهبت إلى أن القرآن معجز بالصرفة، فما هي الصرفة؟ وكيف تضبط؟ ومن هم القائلون بها؟ وما الذي دعاهم إلى هذا القول؟ وهل صح ما نسب إليهم؟ وما أهم حججهم وما الردود عليها؟

ويهدف البحث إلى:

١- إبراز معنى الصرفة لغة واصطلاحا وضبطها وإبراز معانيها.

٢- بيان القائلين بالصرفة على مدى التاريخ الإسلامي من خلال كتبهم؟ أو من أقرب الناس إليهم مذهبا ومكانا.

٣- الكشف عن أهم الأماكن والقرون والفرق الإسلامية التي ظهر فيها وعندها القول بالصرفة.

٤- إظهار أهم أدلة القائلين بالصرفة والنافين لها مع بيان القول الراجح.

٥- البيان بالأدلة إن القول بالصرفة مدعاة إلى الدعة والخمول.

أهمية البحث وأسباب الكتابة فيه:



تبرز أهمية البحث من كونه يجمع القائلين بالصرفة وأدلتهم في مبحث واحد، كما أنه يظهر القائلين بالصرفة الذين ثبت أنهم قالوا بها من خلال كتبهم فقط أو من أقرب الناس إليهم دون الالتفات إلى غير هذا، وأيضا فإن البحث لم يعط حقه في الدراسات السابقة خاصة في نسبة هذا القول إلى القائلين به وأدلتهم.

المناهج المستخدمة:

استخدم الباحث مناهج عدة من أهمها:

- المنهج الاستقرائي وذلك بمحاولة استقراء أهم كتب الإعجاز والتفسير والبلاغة بالأخذ منها مباشرة.
- المنهج المقارن وذلك بالمقارنة بين كتب الإعجاز القرآني والبلاغة، وبين ما كتبه السابقون والمتقدمون.
- المنهج التحليلي وذلك بمحاولة تحليل بعض الآراء في الإعجاز وكذا القائلين بها.
- المنهج النقدي وذلك من خلال نقد بعض الآراء وفق الأدلة العلمية دون النظر إلى القائلين بها.

هيكلة البحث: تكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: تعريف الصرفة لغة واصطلاحا ونبذة تأريخية عنها، وقد تضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وقد كان فيه التعريف اللغوي للصرفة، وكذلك معانيها في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: وقد حوى التعريف الاصطلاحي للصرفة.

المطلب الثالث: وقد اشتمل على نبذة تأريخية مختصرة للصرفة.

المبحث الثاني: العلماء القائلون بالصرفة الذين ثبتت النسبة إليهم وما يستنتج من ذلك، وقد احتوى هذا المبحث على مطلبين اثنين.

الأول: أسماء العلماء الذين نسب القول بالصرفة إليهم، ابتداء من أول من نسب إليه القول بالصرفة وهو النظام وانتهاء بآخر رجل منهم، وهنا حاولت أن أبذل قصارى جَهدي بحيث أنقل عمن نسب إليه القول بالصرفة مباشرة من خلال كتبه أو من نقل عنه فإن لم أجد فأنتقل إلى أهل مذهبه العقدي خاصة، وقد رتبت العلماء حسب الأقدمية من حيث سنة الوفاة بالتأريخ الهجري، وهكذا حتى الأخير منهم.

المطلب الثاني: فيه بعض الاستنتاجات والتحليلات للمطلب الأول.

والمبحث الثالث: ـ حجج الفرقاء في الصرفة، وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

الأول: وفيه ذكرت فيه أدلة القائلين بالصرفة مع مناقشتها.

الثاني: الذي ضمنته أدلة الجمهور النافين للصرفة مع بعض المناقشات.

الثالث: الذي احتوى على القول الراجح وأدلة رجحانه.

وأخيرا الخاتمة: التي أبرزت فيها أهم النتائج مع توصية.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.





المبحث الأول

تعريف الصّرفة لغة واصطلاحا ونبذة تأريخية عنها"

المطلب الأول: تعريف الصرفة لغة:

١ -**الصرفة لغة**: مأخوذة من الفعل الثلاثي صرف، يقال: صَرَفَه يَصْرِفُه صَرْفًا فانْصَرَفَ. فهو من باب الفعل ضرب.[١]

والصَّرْفُ " ردّ الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره".[٢]

والصَّرفة: منزل من منازل القمر وبها يعرف انصراف الحر أو البرد، والصَّرفة كذلك خرزة من الخرز التي تذكر في الأُخَذ، وبها يصرف الناس عن مذاهبهم ووجوههم.[٣]

ومما سبق يمكن القول إن معنى الصَّرفة هو التحويل من حالة إلى أخرى.

٢ - **الصَّرف في القرآن الكريم**: لم تأت كلمة الصرفة في القرآن الكريم بنصها لكن جاءت مشتقات الفعل صرف الأخرى، فقد وردت اثنتين وثلاثين مرة ـ بحسب تصاريفها المختلفة كما في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧ ﴾ التوبة: ١٢٧

وكما في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ

---

(١) ينظر لسان العرب لابن منظور، ج٩ ص٢٢٦، ومعجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ج٧ ص١١٠، مختار الصحاح للرازي، ص١٥٢ مادة صرف.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص١١٣.

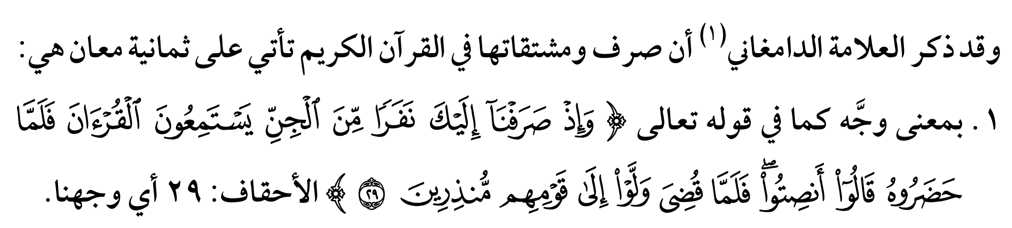
(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، ج٩ ص٢٢٩.



شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ الكهف: ٥٤

وكما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٩.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية



وقد ذكر العلامة الدامغاني[1] أن صرف ومشتقاتها في القرآن الكريم تأتي على ثمانية معان هي:

١. بمعنى وجَّه كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٩ أي وجهنا.

٢. بمعنى بيَّن كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ الكهف: ٥٤ أي بيَّنا.

٣. صَرفْنا بمعنى قَسَمْنا كما في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٥٠﴾ ﴾ الفرقان: ٥٠ يعني قَسَمْنا المطر بينهم عاما فعاما ليذكروا.

٤. صرف بمعنى أمال كما في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ التوبة: ١٢٧ أي أمال

٥. صرف بمعنى هَزَمَ كما في قوله تعالى: أمال ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ ﴾ آل عمران: ١٥٢ يعني هزمكم.

٦. التصريف البلوى والتقليب كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة: ١٦٤ يعني بلوى الرياح وتقليبها يمينا

---

(١) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٧٩ ـ ٢٨٠.



وشمالا عذابا ورحمة قبولا ودبورا.

٧. والصرف الدفع كما في قوله تعالى: أي من يُدفع عنه، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ الفرقان:٦٥ أي ادفع عنا العذاب، وقال تعالى: ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الأنعام: ١٦



٨. صرف أي عَدَلَ كما في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ غافر: ٦٩ أي يعدلون عن الإيمان.[١]

وأنت خبير بأن هذه المعاني كلها يجمعها ما قاله الراغب الأصفهاني، وهو التحويل ورد الشيء من حالة إلى أخرى، [٢] ولكن الدامغاني أحب أن يدقق في معاني القرآن ويعطيها طابعا عميقا وذوقا أدبيا دقيقا.

٣- ضبط كلمة الصرفة:

لم أر من نص على ضبط كلمة الصَّرفة التي نحن بصدد الكلام عليها قبل العلامة ابن عاشور حيث قال "ولعلها بفتح الصاد وسكون الراء وهي مرة من الصرف وصيغة بصيغة المرة للإشارة إلى أنها صرف خاص كالعَلَم بالغلبة"[٣] ومعنى هذا أنها بفتح الصاد اسم مرة من صرف.

---

(١) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص١١٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج١ ص ١٠١.

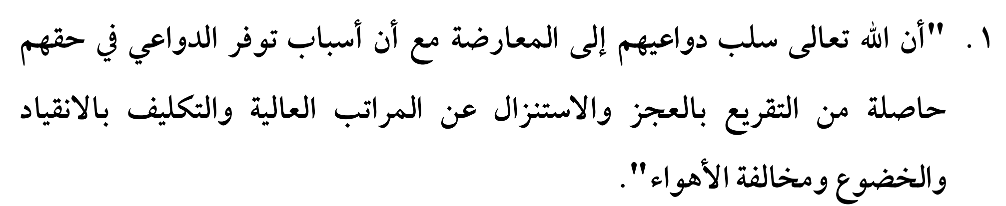




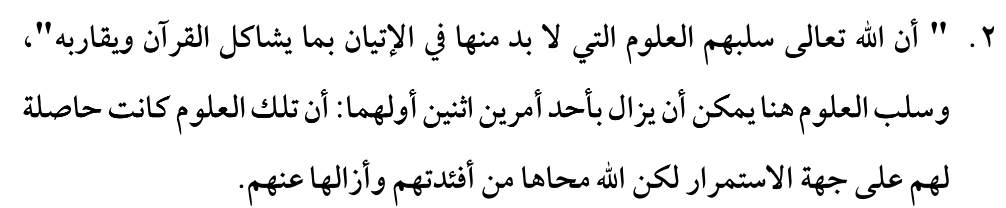
المطلب الثاني: تعريف الصَّرفة اصطلاحا.

اختلفت تعاريف الصرفة تبعا لاختلاف أنظار القائلين بها لكنها لا تخرج في مجملها عن ثلاثة تعاريف ـ كما قال يحيى بن حمزة العلوي في كتابه الطراز[1]

وملخص كلامه هو: أن المراد من الصَّرفة لا يخرج عن ثلاثة أمور:



١. "أن الله تعالى سلب دواعيهم إلى المعارضة مع أن أسباب توفر الدواعي في حقهم حاصلة من التقريع بالعجز والاستنزال عن المراتب العالية والتكليف بالانقياد والخضوع ومخالفة الأهواء".



٢. " أن الله تعالى سلبهم العلوم التي لا بد منها في الإتيان بما يشاكل القرآن ويقاربه"، وسلب العلوم هنا يمكن أن يزال بأحد أمرين اثنين أولهما: أن تلك العلوم كانت حاصلة لهم على جهة الاستمرار لكن الله محاها من أفئدتهم وأزالها عنهم.

ثانيهما: أن تلك العلوم ما كانت حاصلة لهم، فصرف الله دواعيهم عن تجديدها مخافة حصول المعارضة.

٣. " أن يراد بالصَّرفة هو أن الله تعالى منعهم بالإلجاء على جهة القسر عن المعارضة مع كونهم قادرين عليها وسلب قواهم؛ فلأجل هذا لم تحصل من جهتهم المعارضة"[2]

وأنت خبير بأن الفرق بين هذه الثلاثة يكمن في أن الصرفة على التعريف الأول كائنة من الله سبحانه وتعالى ابتداء حيث صرفهم وثبطهم، فكان ذلك من لطيف صنع الله تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره المكابرون، رغم أن الدواعي الباعثة على المعارضة

---

(١) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للإمام يحيى بن حمزة العلوي، ج٣ ص٣٩٢.

(٢) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للإمام يحيى بن حمزة العلوي، ج٣ص٣٩١ـ٣٩٢.





موجودة لكنها لم تحرك فيهم ساكنا من أول وهلة فهم لم يفكروا في ذلك مطلقا، أما على التعريف الثاني فيكون معنى الصرفة أن الكفرة أرادوا أن يعارضوا القرآن، وهموا بما لم ينالوا لكن الله صرف عنهم الوسائل والعلوم التي يحتاجون إليها بأحد أمرين، إما أن تكون تلك العلوم موجودة عندهم من قبل، أو شيء منها، لكن الله أزالها عنهم وطمس على قلوبهم، وإما أنها لم تكن من قبل عندهم مطلقا فصرفهم الله عن تحصيلها من جديد بعدا بهم عن المعارضة، ويمكن أن يُرَدَّ هذا الأمر إلى التعريف الأول ـ كما هو ظاهر جلي ـ وأما معناها على التعريف الأخير فإنها صرفة قسرية حيث إن الدواعي متوفرة والوسائل والعلوم متاحة لهم لكنهم منعوا عن المعارضة قهرا وقسرا رغم أنوفهم.(١)

وعلى كل فإن هذه التعاريف الثلاثة تجمع مصطلح الصرفة لكنها تختلف من حيث الداعي والأسلوب والهدف المراد من كل منها وقد قيل بها كلها ونسبت إلى أحد القائلين بالصرفة أو بعضهم، وهنا حدث الوهم والتداخل ونسبت إلى قوم أقوال لم يقولوها وإن قالوا بشيء منها فليست هي مرادهم فيما نقل عنهم، ومما يجدر ذكره والتنبيه عليه أن الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي ذكر أن الاحتمال الثالث لم يقل به أحد والاحتمال الثاني هو قول الخفاجي والاحتمال الأول هو قول النظام والرماني.(٢)

والأمر ليس كما قال الدكتور بل إن الناظر إلى من تكلموا في الصرفة يجد أن الأقوال الثلاثة كلها نسبت إلى النظام، في حين أن صرفة النظام تختلف قليلا عن الصرفة التي قال بها الرماني،

---

(١) ينظر التمهيد في علوم القرآن لمحمد هادي معرفة، ج٤ ص١٣٩، والبيان في إعجاز القرآن للدكتور صلاح الخالدي،٨٣.

(٢) ينظر البيان للدكتور الخالدي، ص٨٣.

وبالاحتمال الثالث قال ابن حزم والجويني كما سيأتي نبأ هذا بعد حين.[١]

المطلب الثالث: لمحة تأريخية عن الصرفة.

كثر الكلام والقيل والقال عن الصرفة ومنشئها ومبعثها حتى إنه يمكن للمتتبع لأمر الصرفة والقائلين بها أن يصف ما كتب فيها وحولها بالتضارب في أحيان كثيرة؛ ولا أدل على ذلك من نسبة الصرفة إلى أول قائل بها فمنهم من يقول[٢]: إن أول من مهد للقول بالصرفة هو الجعد بن درهم مؤدب الخليفة الأموي مروان بن محمد ثم تلقاها من تلقاها عنه بعد ذلك. ومنهم من يقول[٣] إن أول متكلم بالصرفة عيسى بن صبيح المزدار المعروف براهب المعتزلة، ثم أخذ عنه النظام ثم قال بها من قال بعد ذلك.

بينما يذهب فريق ثالث[٤] إلى أن النظام إمام المعتزلة في عصره هو أول من قال بالصرفة، بل إنها لم تعرف إلا عنه ولولاه لما عرفت فقد دافع عنها دفاعا منقطع النظير، ثم وافقه بعد ذلك من وافقه وخالفه من خالفه.

وعلى كل حال فأي الثلاثة القائل الأول بالصرفة لا يهمنا كثيرا بقدر ما يهمنا صحة النسبة إليه، فمعاذ الله أن ننسب إلى أحد أو نقوله بغير ما قال.

وإذا أنعمنا النظر في هذه المسألة فإنه لا يوجد كتاب مطبوع ينسب إلى أحد أولئك الثلاثة

---

(١)

(٢) من هؤلاء العلامة الرافعي في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص١٠٠.

(٣) من هؤلاء الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي في كتابه البيان في إعجاز القرآن، ص٨١.

(٤) منهم الشيخ العلامة أبو زهرة في كتابه المعجزة الكبرى ص٧١، والدكتور عبدالعظيم المطعني في كتابه خصائص التعبير القرآني، ج١ ص١٠٧.

يصرح فيه نفسه بالقول بالصرفة، إلا ما نقله الجاحظ وهو أحد تلاميذ النظام عن أستاذه[١]، ولعل هذا أقرب الأقوال صحة من حيث النسبة دون ما قبله؛ إذ لا سند علمي صحيح يعتمد عليه إلا بعض الروايات التاريخية التي فيها الغث والسمين -كما نعلم- أو بعض استنتاجات تحاول أن تجمع بين أمور بينها بعد شقة واضحة، فإن من نسب أولية القول بالصرفة إلى الجعد بن درهم، الظاهر منه أنه حاول الربط بين قضية خلق القرآن والقول بالصرفة، وبين الأمرين بون شاسع واختلاف واضح.

ومما يجدر ذكره هنا أن أول ظهور لكلمة الصَّرفة كان على يدي الجاحظ في القرن الثالث[٢]، ثم تمر الأيام وتتوالى الشهور والأعوام وتظهر كلمة الصرفة كمصطلح ناضج في نهاية القرن الرابع على يد كل من الخطابي[٣] والرماني[٤] ويظهر الفرقاء في هذه المسألة بين مؤيد لها تمام التأييد وبين رافض لها تمام الرفض حتى إنه يمج سماعها، ويأخذ فريق ثالث العصا من وسطها ويعترف بالصرفة كمبدأ من مبادئ الإعجاز لكنه لا يجعلها الإعجاز كله.

---

(١) ينظر: حجج النبوة للجاحظ ص١٤٨، وتطرية الإعجاز للدكتور أحمد سيد محمد عمار، ص٤٨ - ٥٤.

(٢) ينظر: الحيوان للجاحظ ج٦ ص٢٦٩.

(٣) ينظر: بيان إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص٢٠.

(٤) ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص١٠١.

المبحث الثاني

"العلماء القائلون بالصَّرفة الذين ثبتت النسبة إليهم وما يستنتج من ذلك"

المطلب الأول: أسماء العلماء الذين ثبتت نسبة القول بالصرفة إليهم

تمهيد: إن المطلع على أغلب الكتابات التي كتبت حول الصَّرفة يرى عدم الدقة فيها من حيث أمران: الأمر الأول فهم معنى الصرفة، وقد مر تحقيق المسألة عند تعريف الصَّرفة اصطلاحا.

أما الأمر الثاني فهو نسبة القول بالصرفة إلى قائليه إذ إننا نجد كثيرا من النسب غير دقيقة فتارة نجد نسبة إلى غير قائليها وتارة أخرى نجد نسبة في غير محلها، وهذا ما حدا ببعض العلماء المعاصرين كالعلامة محمد عبدالعظيم الزرقاني[1] أن يشكك في نسبة القول بالصرفة إلى قائليه رغم أنها ثابتة عنهم ثبوت شمس الظهيرة التي لا يجادل في سطوعها، وعلى كل فهذا الذي جعلني أحاول القيام بجهد مقل أتتبع فيه العلماء الذين نسب إليهم القول بالصرفة وأتحقق من ذلك بالرجوع إلى كتبهم أنفسهم فإن لم أجد فسوف تراني مضطرا أن أنقل من أقرب الناس إليهم علما وزمنا ومذهبا. ومما يجدر ذكره هنا أني سأرتبهم حسب الأقدمية من حيث تأريخ الوفاة حسب التأريخ الهجري وهكذا إلى نهاية المطاف فإلى ذلك الأمر.

١. **النظام هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام** ت: ٢٣١هـ

لا يكاد يذكر هذا الرجل إلا وتذكر الصرفة معه، ولا تذكر الصرفة إلا ويذكر اسم النظام معها، فهل ما نسب إليه صحيح؟ وما الدليل على ذلك؟ والجواب: أن نسبة الصرفة إلى النظام لا ينبغي لأحد أن يمتري فيها أو أن يخالطه أدنى شك والدليل على ذلك ما يلي:

أ. إن الجاحظ وهو أقرب الناس إلى النظام علما وزمنا ومذهبا قد نسب إليه هذا القول، ويبعد واقعا وخلقا أن ينسب تلميذ لشيخه قولا دون أن يقوله، ولنذهب الآن إلى كلام

---

(١) ينظر: مناهل العرفان للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ج٢ ص٣١٥.

الجاحظ حين يقول:" فلم أدع فيه مسألة لرافضي ولا لحديثي ولا لحشوي ولا لكافر مباد ولا لمنافق مقموع ولا لأصحاب النظام، ولمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة"[1] وهنا نص ظاهر جلي في رفض الصرفة ونفيها وفي قوله: "ولا لأصحاب النظام ولمن نجم بعد النظام.." دلالة على أنه يقول بها، والظاهر أنه أفرده بالاسم من باب المجاملة الأدبية.

ب. إن بعض أصحابه المعتزلة ينقلون عنه قوله ذلك: يقول أبو القاسم البلخي: "الحجة في القرآن عند النظام إنما هو ما فيه من الإخبار عن الغيوب لا النظم والتأليف، ولأن النظم عنده مقدور عليه لو لا أن الله منع منه"[2] وهذا النص أظهر من الذي قبله كما أننا نستفيد منه فائدة أخرى وهي أن النظام يعترف بإعجاز الإخبار الغيبي.

وبعد أن ثبت القول بالصرفة نسبة إلى النظام فما هي الصرفة التي يقول بها ويدعيها؟

والجواب عن ذلك ـ كما قدمت سابقا ـ أن عدم الفهم الدقيق لمعنى الصرفة جعل الناس عزين في نسبة نوع الصرفة إلى النظام فبعض الكاتبين يرى أنه يقول بالصرفة القهرية، وأن الله صرف العرب قهرا وقسرا حتى لا يتمكنوا من الإتيان بمثل القرآن؛ لأنه لا فرق بين القرآن وبين كلام فصحاء العرب من حيث النظم ـ حسب زعم قائله ـ وهذا الذي يفهم من كلام أبي الحسن الأشعري في مقالاته عندما نسب إلى النظام القول بالصرفة[3] وهو الذي رجحه الدكتور وليد قصاب من المعاصرين[4] بينما نسب إليه آخرون بأنه يقول بالصرفة الابتدائية لا القهرية وهذا

(١) ينظر حجج النبوة للجاحظ ص١٤٨.

(٢) ينظر: حجج النبوة للجاحظ ص١٤٨.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ص٢٢٥.

(٤) ينظر: التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة ص٣١٨.



الذي يفهم من كلام الإيجي في المواقف[1] وهكذا نسبه إليه القرطبي في تفسيره[2] والسيوطي في الإتقان[3] والرافعي في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية[4] والأستاذ محمود محمد شاكر في كتابه مداخل إعجاز القرآن[5].

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

ووجه فريق ثالث رأي النظام في الصرفة من حيث سلب العلوم والوسائل التي كانوا يحتاجون إليها.[6]

وأنت خبير بأن اختلاف النسبة إنما يعود إلى عدم ورود نص عن النظام نفسه، لكن من ينعم النظر يجد أن الرجل يذهب إلى أن الصرفة تكمن في سلب دواعيهم عن المعارضة مع توفر ما يدعوهم إلى ذلك من التقريع وهذا هو الصرف الابتدائي، وذلك لثلاثة أسباب:

أ. ما نقله عنه أصحابه كعبارة البلخي التي فيها قوله في أخرها "ولأن النظم عنده مقدور عليه لو لا أن منع الله منه"[7]

فمنع الله في الأصل أن يكون على الابتداء لا على جهة القسر.

ب. إن أكثر العلماء وهم فطاحل الرجال من المتقدمين والمتأخرين هكذا فهموا عنه.

ج. إن الصرفة الجبرية تكون متنافية تمام المنافاة مع آيات التحدي، والرجل ليس ممن يقعقع

(١) ينظر: المواقف للإيحي ص٣٥٠.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١ ص٧٥.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج٢ ص١٠٠٥.

(٤) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص١٠١.

(٥) ينظر: مداخل في إعجاز القرآن للأستاذ محمود شاكر ص٥٩.

(٦) ينظر: التمهيد في علوم القرآن لمحمد هادي معرفة ج٤ ص١٤٢-١٤٣.

(٧) ينظر: التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة للدكتور وليد قصاب، ص٤٦.



خلفه بالشنان حتى يذهب إلى هذا القول؛ إذ الأصل في المسلم أن يحمل على السلامة.



وعلى كل فيبقى سؤال ينبغي طرحه ما هو السبب الذي جعل النظام يذهب إلى هذا القول؟ والجواب: أن من ينظر إلى الزمن الذي عاش فيه صاحبنا - يجد أنه قد كثر فيه الزنادقة وأهل الزيغ الذين يجادلون في أمر النبوة، ومعلوم أن النظام كان من الذين دافعوا عن الإسلام وقيمه في تلك الفترة، فلعله أراد أن يسد باب الشبه من أول وهلة وأن يحسم الأمر ولا يضيع وقته مع أناس لا يفهمون وإذا فهموا فهم كما وصفهم خالقهم ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنعام: ٢٥ وهذا الأمر هو الذي ينبغي أن يعول عليه ويجعل سببا رئيسا خاصة إذا أضفنا إلى هذا حسن الظن بعالم كالنظام، وما حكي عنه أنه قد أوتي ذكاء حادا ونظرا عميقا إلى الأمور وأنه يقول بالإعجاز الغيبي للقرآن الكريم.[١]

٢. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت٢٥٥هـ

يذهب بعض الباحثين [٢] إلى أن صاحبنا هذا لا يقول بالصرفة وأن القرآن معجز عنده بالنظم فقط، ويذهب فريق آخر[٣] إلى أنه يقول بالصرفة لكنه يختلف عن شيخه النظام من حيث إن الإعجاز بالنظم هو الأصل بينما تكون الصرفة معجزة معاونة - إن صح التعبير-.

والناظر بعين الإنصاف إلى ما كتب الجاحظ يجده أنه يقول بالصرفة ولندعك أيها القارئ

---

(١) هذا الذي رجحه الدكتور محمد محمد أبو موسى في كتابه الإعجاز البلاغي ص٣٥٧.

(٢) منهم العلامة الدكتور محمد محمد أبو موسى في كتابه الإعجاز البلاغي، ص٣٦٠-٣٦٤، والدكتور عبدالعظيم المطعنى في كتابه خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ج١ص١١٤.

(٣) منهم الرافعي في إعجاز القرآن ص١٠٢-١٠٣، والدكتور وليد قصاب في كتابه التراث النقدي عند المعتزلة ص٣١٩-٣٢٠، والدكتور أحمد سيد عمار في كتابه نظرية الإعجاز القرآني ص٦٤-٦٥.

الكريم لتستمع بنفسك إلى ما يقول الرجل نفسه " .. ومثل ذلك ما وقع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول بنظمه، ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه، ولو طمع فيه لتكلفه، ولو تكلفه بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القصة على الأعراب وأشباه الأعراب والنساء وأشباه النساء ولأبقى ذلك للمسلمين عملا ولطلبوا المحاكمة والتراضي ببعض العرب ولكثر القيل والقال، فقد رأيت أصحاب مسيلمة وأصحاب بني النواحة إنما تعلقوا بما ألف لهم مسيلمة من ذلك الكلام الذي يعلم كل من سمعه أنه إنما عدا على القرآن فسلبه وأخذ بعضه وتعاطى أن يقارنه فكان لله ذلك التدبير الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له"(1)

وتعمدت أن أنقل هذا النص الطويل لأستبين منه أن الجاحظ يقول بالصرفة وذلك ظاهر وبين ولا أدل على ذلك من قوله "وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن..." ثم قوله " فكان لله ذلك التدبير الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له ..."

والأصرح من ذلك كله قوله ".. وهل يصلون إلى الناس حتى يجعلوا ذلك الخبر سببا إلى صرف الدعوى؟ قيل لهم فإنا نقول بالصرفة في عامة هذه الأصول"(2) وفي هذا النص دلالة لمن ألقى السمع وهو شهيد بأن صاحبنا يعترف بالصرفة بل إنه هو أو من سماها كذلك ومع هذا فإن صرفة الجاحظ تختلف عن صرفة شيخه النظام فعند هذا الأخير هي المعجزة الكبرى، وأما عند الجاحظ فهي ليست المعجزة الأم بل هي تدبير إلهي وشيء ثانوي أما المعجزة الكبرى فهي نظمه البديع يدلنا على ذلك قوله "وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على إنه صِرْف: نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد..."(3)

---

(١) ينظر كتاب الحيوان للجاحظ، ج٤ ص٨٩.

(٢) ينظر: الحيوان للجاحظ ج٦ ص٢٦٨.

(٣) ينظر: الحيوان ج٤ص٩٠.

٣. الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ت ٣٢٤هـ.

عميد المذهب الأشعري وقد نسب إليه القول بالصرفة القاضي عياض وهو من أكابر أصحابه المغاربة فقال ما نصه "وقد اختلف أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول إنه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن إقدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى، وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله وعجزهم عنه، وقال به جماعة من أصحابه وعلى الطريقتين فعجز العرب ثابت"(١).

والنص واضح البيان في نسبة هذا القول إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لكنني مما أحب أن أنبه عليه أنني حاولت جاهدا أن أجد نصا في كتب الرجل نفسه التي بين يدي فلم أوفق، كما أنني لم أجد أحدا غير القاضي عياض نسب إليه هذا القول سوى ابن عاشور(٢) تبعا للقاضي عياض.

٤. أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ت: ٣٨٦هـ.

لا يكاد يذكر الإعجاز القرآني ومؤلفاته إلا ويذكر الرماني معها؛ ذلك أن جزأه الموسوم بالنكت في إعجاز القرآن من أوائل ما ألف في الإعجاز، وللرماني طريقته ونظرته الخاصة إلى الإعجاز، والذي يهمنا هنا هو أنه من القائلين بالصرفة فقد ذكر سبع جهات للإعجاز عنده، الرابعة منها الإعجاز بالصرفة(٣) ، وعندما شرحها في السطور الأخيرة من جزئه لم يتوقف عندها كثيرا بل قال عنها "... وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان

---

(١) ينظر: الشفاء للقاضي عياض ج١ ص٥١٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشورج١ ص١٠١.

(٣) ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص٦٩.



يعتمد بعض أهل العلم أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة لخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة وهذا عندي أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول" (١).

وظاهر للعيان ما قاله الرماني فهو يعترف بأن الصرفة أحد وجوه الإعجاز التي تظهر للعقول وليست الإعجاز كله، وهذا ما يختلف به عن النظام، ويتفق به مع الجاحظ، وواضح من عبارته هذه أيضا بأنه يشير إلى بعض من تقدمه من القائلين بأن الصرفة هي المعجزة فقط، ولعله يشير أيضا بهذا إلى النظام ومن وافقه، وقد وصفه بأنه من أهل العلم وكفى به شاهدا.

٥. الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني الفقيه الشافعي الأشعري ت: ٤١٨هـ.

وهو من أكابر علماء الأشاعرة ومنظريهم، وقد نسب إليه القول بالصرفة العلامة الإيجي صاحب المواقف حيث قال"... وقيل بالصرفة فقال الأستاذ والنظام صرفهم الله مع قدرتهم وقال المرتضى بل سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة"(٢)

ويتضح من النص أمران، أولهما: أنه نسب القول بالصرفة إلى الأستاذ والمقصود به هو أبو إسحاق الإسفراييني.

ثانيهما: أن الصرفة التي يقول بها الأستاذ هي الصرفة التي قال بها النظام من قبل. (٣)

٦. الشريف علي بن الحسين الموسوي المرتضى ت ٤٣٦هـ.

وهو من علماء الشيعة الإمامية، وقد ذهب إلى القول بالصرفة، ولم أجد له كتابا آخذ منه لكن من كتب أهل مذهبه، يقول الأستاذ محمد هادي معرفة وهو من الشيعة المتأخرين :" المعروف من مذهب الشريف المرتضى(٤٣٦هـ) في الإعجاز هو القول بالصرفة نسبه إليه كل

---

(١) ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص١٠١.

(٢) ينظر المواقف للإيجي ص٣٥٠.

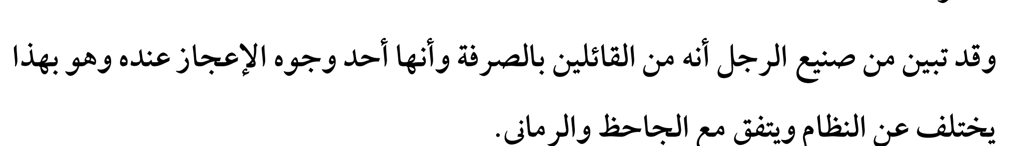
(٣) لم أوفق في العثور على كتاب للرجل يذكر فيه نفسه القول بالصرفة لكن أصحابه أدرى به.



من كتب في هذا الشأن قولا واحدا[1]، لكن مما تجدر الإشارة إليه أن الصرفة عنده تعني أن الله سلب العلوم ممن أراد تحدي القرآن وهو هنا يختلف عمن سبقه من العلماء كلهم.

٧. العلامة أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي ت: ٤٥٠هـ.

وصاحبنا من أكابر علماء الشافعية وهو من علماء القرن الخامس، فلا يكاد يذكر المذهب الشافعي وإلا يذكر الماوردي، ومن مؤلفاته كتاب أعلام النبوة، ومما ذكره فيه وجوه إعجاز القرآن الكريم وهي عشرون وجها وقد ذكر القول بالصرفة الوجه الأخير منها فقال:"... والصرفة إعجاز على القولين معا في قول من نفاها وأثبتها؛ فخرقها للعادة فيما دخل في القدرة"[2]



وقد تبين من صنيع الرجل أنه من القائلين بالصرفة وأنها أحد وجوه الإعجاز عنده وهو بهذا يختلف عن النظام ويتفق مع الجاحظ والرماني.

٨. أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري م٤٥٦هـ .

وقد ذهب إلى القول بالصرفة في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل وقد رد القول بأن القرآن معجز من حيث بلاغته فقال" فأما الطائفة التي قالت إنما إعجازه لأنه في أعلى رتب البلاغة فإنهم شغبوا في ذلك"[3] ثم يقول بعد كلام"... فلا بد لهم من هذه الخطة أو المصير إلى قولنا إن الله تعالى منع معارضته فقط، ... فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلا وأن الله تعالى تولى منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز وسلبه جميع الخلق..".[4]

وعبارات الرجل ظاهرة بينة تكشف قول الرجل بالصرفة وإن لم يسمها كذلك، بل سماها

(١) ينظر: التمهيد في علوم القرآن لمحمد هادي معرفة،ج٤ ص١٥٢ ـ١٥٤ كما ينظر إعجاز القرآن للرافعي ص١٠١.

(٢) ينظر: أعلام النبوة للماوردي ص٦٨.

(٣) ينظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٢ص٤٩.

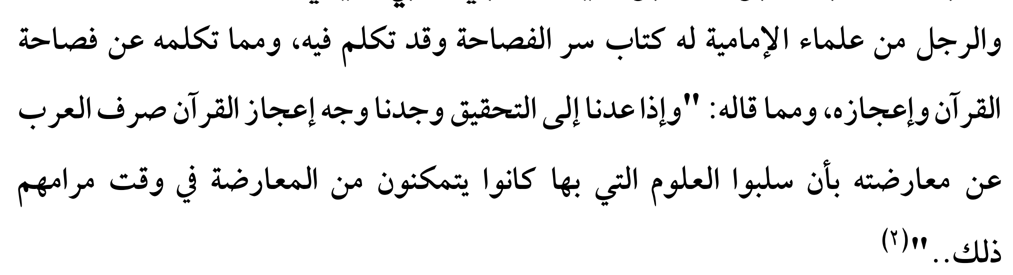
(٤) المرجع السابق ج٢ص٥١.





منعا ولعله بهذا يشير إلى الصرفة القسرية التي منع الله بها العرب عن الإتيان بمثل القرآن، وغير خاف عليك أيها القارئ الكريم بأن هذا مبني على الوجه الثالث من تعاريف الصرفة كما مر ذكره في محله.(١)

٩ . أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد الخفاجي الحلبي الشيعي ت: ٤٦٦هـ .



والرجل من علماء الإمامية له كتاب سر الفصاحة وقد تكلم فيه، ومما تكلمه عن فصاحة القرآن وإعجازه، ومما قاله: "وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك.."(٢)

وموقف الرجل جلي من الاعتراف بالصرفة بل إنه يجعلها هي الأوجَه في الإعجاز وهو بهذا القول يتفق تمام الاتفاق مع سلفه الشريف المرتضى بأن العرب سلبوا العلوم، وعلى هذا فهو يختلف مع بقية القائلين بالصرفة.

لكن مما يدهش العقول ويحير الألباب أن ينسب صاحبنا هذا القول لأهل الفصاحة وأرباب العلم(٣) فمن هم؟؟ !! ولماذا لم يذكرهم بأسمائهم أم أن الأمور تشابهت عليه فنسب القول إلى عكسه فالله المستعان.

١٠ . إمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله الجويني ت: ٤٧٨هـ .

وهو إمام من أئمة الأشاعرة وفقيه وأصولي شافعي معروف، وقد مال إلى القول بالصرفة في كتابه العقيدة النظامية حيث يقول فيها: " فكيف يهتدي ـ حرس الله مولانا ـ إلى إعجاز القرآن من يحاول أن يثبت خروجه عن العادة في الجزالة وشفاء الصدور في الحكم؛ فإن مثله من

---

(١) ينظر ص ٦ ـ ٧ من هذا البحث المتواضع.

(٢) ينظر: سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص٨٩.

(٣) ينظر المرجع السابق نفسه ص٢١٧.



مقدورات الخلق ولكنهم مصدودون ممنوعون بصرف الله إياهم"[1] ثم يقول:" ... فإنه قد يسبق مبادر إلى أنه من اختصاص صاحبه بمزايا في العلوم إلى أن يرده سداد الفكر، وإنما يجري الخلائق خمسمائة سنة كلام مماثل لكلامهم قد بلغه رجل أمي لم يعان العلوم ولم يدارس أهلها، ولا محمل له إلا صرف الله تبارك وتعالى ومنعه الخلق فهذا وجه من ذكر معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم".[2]

والنصان ظاهران بينان على ما يقوله الرجل بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك حيث قال".. فليعلم المشتهي إلى ذلك من رام أن يثبت إعجاز القرآن بأنه في جزالته خارق للعادات مجاوز لفصاحة اللداد البلغاء واللسن الفصحاء فقد حاد عن درك الحق.. ... إلى أن يقول.. ومن تكلف إثبات ذلك فقد تكلف شططا وظن غلطا.."[3]

وأمر هذا العلامة الجليل غريب عجيب فإنه يذهب إلى القول بالصرفة القسرية وهو بهذا يخالف جمهور القائلين بالصرفة ويتفق مع ابن حزم الظاهري.

المطلب الثاني: الاستنتاجات والفوائد التي تؤخذ من المطلب السابق.

تلك عشرة أسماء كاملة غير منقوصة لمن نسب القول بالصرفة إليهم وثبت عنهم القول بها سواء كان مما كتبته أيديهم وسطرته أقلامهم أم من ما نقله عنهم أقرب الناس إليهم مذهبا وزمنا أو مذهبا فقط، ومما ينبغي أن يعلم أنه نسب إلى غير هؤلاء لكن النسبة غير دقيقة

---

(١) ينظر: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية لامام الحرمين،ص٧٤.

(٢) ينظر المرجع السابق نفسه ص٧٤، ٧٥.

(٣) المرجع السابق نفسه ص٧٢.

فأعرضت صفحا عن ذكرهم مخافة الإطالة.(١)

وهنا سؤال يطرح نفسه ـ كما يقال ـ ما هي أهم النتائج والفوائد التي يمكن أخذها من خلال ما تجمع من تلك الأسماء العشرة؟



فأقول وبالله التوفيق بأنه ثبت لدى الباحث بما لا يدع مجالا للشك نسبة القول بالصرفة إلى كثير من علماء الأمة من مختلف فرقها ومذاهبها، وهنا يمكن للباحث أن يسجل بعض الفوائد والاستنتاجات وهي:

١ . إن القول بالصرفة منحصر في ثلاثة قرون ما بين الثالث والخامس إذ لم يظهر للباحث القول بالصرفة قبل النظام ولا بعد إمام الحرمين.

٢ . إن معظم من قالوا بالصرفة هم من طبقة المتكلمين.

٣ . بدأ القول بها عند المعتزلة وانتهى عند الأشاعرة.

٤ . أكثر من قالوا بالصرفة هم من غير المعتزلة، وهذا يدحض الشبهة التي تفيد بأن من قال بالصرفة هم من يسيرون خلف المعتزلة.(٢)

٥ . وإن تعجب فعجب أن يجمع القول بالصرفة بين غريبين ومتناقضين ـ إن صح التعبير ـ وهما القائلون بتقديس العقل وعلى رأسهم المعتزلة وبين فريق آخر غالى في تقديس

---

(١) ممن نسب إليه القول بالصرفة الإمام الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد ص١٠٥ لكن كلامه غير صريح، كما نسب هذا القول إلى الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب، ج٢ ص١٢٧، لكن النص غير دقيق بدليل أنه نفى الصرفة في كتابه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص٣٣ بل رد فيه على النظام.
كما نسبت الصرفة إلى بعض متقدمي المعتزلة من أمثال أبي إسحاق الشيعي وعباد بن سليمان وهشام الفوطي لكنني لم أجد أحدا من المعتزلة نقل عنهم ذلك ينظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، ص٢٢٥ كما ينظر نظرية الإعجاز للدكتور أحمد سيد عمار، ص٤٧.

(٢) ينظر: خصائص التعبير القرآني للدكتور عبدالعظيم المطعني ج١ ص١٠٧.



ظاهرية النصوص وهو ابن حزم الظاهري.[١]

٦ . إن القائلين بالصرفة هم أجلة العلماء في مذاهبهم وقدوة أصحابهم بل للأمة جميعها، فلا مجال للطعن فيهم والنيل منهم ولمزهم بأنهم عجم لم يتذوقوا طعم العربية[٢] بل هم من أعلم أهل العربية بها إن لم يكونوا أعلم بها من غيرهم كما هو الحال عند الجاحظ والرماني والخفاجي وإمام الحرمين.

٧ . إن القائلين بالصرفة لم يتفقوا على معناها فيما بينهم بل إنهم لم يخرجوا عن معانيها الثلاثة التي حددها يحيى بن حمزة العلوي في كتابه الطراز[٣]

٨. إن أكثر أولئك لم يدللوا على ما ذهبوا إليه من القول بالصرفة، وكأنها عندهم من المسلمات، بينما القليل منهم هم الذين استدلوا لها وأظهروها وعملوا على إبرازها كما هو الحال عند الخفاجي وإمام الحرمين وابن حزم الظاهري.

٩ . ما يجمع القائلين بالصرفة مع اختلاف مشاربهم وتعدد مسالكهم هو إعجاز القرآن بها، وأنه محفوظ من الزيادة والنقصان وأن لا سبيل إلى معارضته أو الاتيان بمثله، وهذا يرد ما ذكره الشيخ أبو زهرة من أن القول بالصرفة وليد الديانة البرهمية(٤)؛ إذ لا مستند علمي يدل على ما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة.

١٠ . أكثر القائلين بالصرفة هم من علماء القرن الخامس الهجري.

١١ . من الطرائف التي يمكن أن تسجل هنا أن نصف القائلين بالصرفة هم من اسمه علي، وأن ثلاثة منهم كنيته أبو الحسن.

---

(١) ينظر: جواهر التفسير لسماحة الشيخ احمد الخليل، ج١ ص٥٧-٥٨ .

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ج١ ص١٠٩-١١٠ .

(٣) ينظر: الطراز ليحيى بن حمزة العلوي ج٣ ص٣٩١-٣٩٢.

(٤) ينظر: المعجزة الكبرى للشيخ أبي زهرة ص٧١.



المبحث الثالث

أدلة الفرقاء في الصرفة.

المطلب الأول: أدلة القائلين بالصرفة



قبل البدء بذكر أدلة القائلين بالصرفة يجدر بي أن أشير إلى أن أدلتهم تختلف باختلاف نظرتهم إلى الصرفة هل هي صرفة ابتدائية أو قسرية أو بصرف العلوم عن من يحتاج إليها؟، لكن الذي يجمعهم في نهاية المطاف هو القول بالصرفة وها هي أهم أدلتهم:

١. استدلوا بأن العرب كانوا قادرين على الإتيان بمثل القرآن لما شهر عنهم من قوة الفصاحة والبلاغة، ولو لم يصرفوا من قبل الله تعالى لعارضوا القرآن، يدلنا على ذلك تخاذلهم عن معارضته مع تقريع القرآن لهم واستثارتهم مرة بعد مرة فلهذا يظهر أن إعجاز القرآن بالصرفة وحدها لا غير.(١)

ويمكن أن يناقش هذا الدليل من عدة أوجه منها:

أ. لا يسلم القول بأن العرب كانوا قادرين على معارضة القرآن بسبب قوة فصاحتهم؛ ذلك أن كلامهم قبل تحدي القرآن لهم وبعده متساو في فصاحته لم يتغير ولم يتبدل، أضف إلى هذا أن فصاحة القرآن وبلاغته في كل كلمة وعبارة وآية بخلاف ذلك عند العرب فبعضهم يبرع في فن والآخر في آخر، وثالث الأمور أن مواضيع القرآن تعالج قضايا خطيرة تمس الإنسان بينما فصاحة العرب حينئذ في فضول القول كوصف الناقة والغزل وما إليها يقول الإمام السيوطي".. ولهذا ترى البليغ ينتج القصيدة أو الخطبة حولا ثم ينظر فيها فيغير.. وهلم جرا، وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على

---

(١) ينظر: العقيدة النظامية لإمام الحرمين ص٧٢-٧٣، الفصل لابن حزم، ج٢ ص٤٩-٥٠، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي ص٣٣.





لفظة أحسن منها لم يوجد"[1]

ب. لو أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن بعد أن كانوا قادرين لما استطاعوا فهم قوة إعجازه ودراية فصاحته، يقول الفخر الرازي :"لو أن الله صرفهم عن المعارضة وأعجزهم عنها بعد أن كانوا قادرين عليها لما استعظموا فصاحة القرآن بل العكس هو الصحيح". [2]



ج. لو سلمنا بصحة هذا القول جدلا فإنه لا يكون هو المعجز بل المعجز هو المنع، وعليه فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه.[3]

٢. واستدلوا أيضا بأن العرب لما امتنع عليهم المعارضة لم تكن ممتنعة لشيء في ذات القرآن، وإنما لأن الله أعدمهم العلوم التي يمكن معها الكلام الفصيح، فصار ممتنعا عليهم لفقد العلم، وما هذا الإعدام إلا القول بالصرفة فتبين ما قلناه.[4]

والجواب عن هذا الإيراد ما يلي: لا يخلو هذا الادعاء من أمرين:

أ. إما أن يكون ذلك القدر من العلم حاصلا لهم من قبل البعثة معتادا لهم فمنعوا من ذلك عند نزول القرآن؛ والجواب عن هذا أنه كان يجب أن يكون قدر المعارضة في الفصاحة بعد ما أنزل قدر ما جرت به العادة عند العرب من قبل فمنعوا من مثله في المستقبل، وعلى هذا فلا يصح أن يكون القرآن معجزا لكونه مساويا لكلامهم ولتمكنهم من قبل

---

(١) ينظر: الإتقان للسيوطي، ج٢ص١٠٠٧ وانظر نهاية الإيجاز للفخر الرازي ص٣٣.

(٢) ينظر: نهاية الإيجاز للفخر الرازي ص٣٣، وانظر الرسالة الشافية للجرجاني المطبوعة آخر كتاب دلائل الإعجاز، ص٦١٠-٦١٣.

(٣) ينظر الرسالة الشافية، ص٦١٣، وانظر إعجاز القرآن للباقلاني، ص ٣٠.

(٤) ينظر: سر الفصاحة للخفاجي ص ٨٩-٩٠، والمغني للقاضي عبدالجبار،ج ١٦ ص٢١٨.





أن يأتوا بمثله من حيث الفصاحة، وإنما المعجز هو صرفهم، وما دام الأمر كذلك لم يصح أن يتحداهم أن يأتوا بمثله وإنما كان التحدي يجب أن يقع بالمنع الذي حدث لهم أي الصرفة وهذا ظاهر البطلان؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم تحدى بالقرآن[1]، وصدق الحق إذ يقول﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة:٢٣

ب. وإما أن يكون المنع وهو صرفهم عن الإتيان بمثله مستمرا إلى قيام الساعة وأنهم لم يختصوا بالعلم، وهذا الوجه هو الأقوى كما يقول القاضي عبدالجبار بن أحمد[2]؛ لأنه يجعل للقرآن مزية الفصاحة عليهم. وجوابه: أنهم لو سلبوا العلوم حقا بعدما علموها لما كانت هناك فائدة من تحدي القرآن لهم، ولكان التحدي نوعا من العبث وحاشا لله أن يكون الأمر كذلك منه يقول القاضي عبدالجبار: "لأنه عليه السلام كان يظهر أنه من جهته تعالى كما يظهر التحدي به بالطريق الذي به يعلم ظهوره وأنه تحدى به يعلم أنه كان يخبر بأنه من عند الله ويقصد إلى ذلك".[3]

٣. واستدل القائلون بالصرفة بأنه إذا كانت المفردات القرآنية كلا على حده غير معجزة فكذلك صور النظم القرآني، فلم يبق لنا بد إلا من القول بأن الإعجاز ممكن في الصرفة وحدها.[4]

والجواب عن هذا أن صاحب هذا الاستدلال قاس النظم القرآني على مفرداته وهذا قياس فاسد لأمور منها:

---

(١) ينظر المغني للقاضي عبدالجبار، ج١٦ ص٢١٩.

(٢) ينظر المغني للقاضي عبدالجبار، ج١٦ ص٢١٩.

(٣) المرجع السابق نفسه،ج١٦ ص٢ ص ٢١٩-٢٢٠.

(٤) ينظر: حقائق وأباطيل حول إعجاز القرآن للدكتور علي البديري،ص ١٢٠.

أ. إن المفردات وحدها ليست ذات قيمة خاصة إذا نزعت عن الجملة القرآنية، بعكس النظم الذي يحكم به على التركيب القرآني وغيره.(١)

ب. إن المفردات لا يحسن السكوت عليها وقد لا يعرف معناها إلا من خلال النظم فكيف يقاس عليها هو؟!(٢)



ج. إن الأصل في الأشياء عدم التوافق؛ إذ التوافق أمر طارئ على هذه الحقيقة، ومن ادعى غير هذا فعليه الدليل وإلا سقط ما ادعاه، وهذا ما يظهر على هذه الدعوى.(٣)

المطلب الثاني: أدلة النافين للصرفة، وهم الجمهور

هذا هو قول الجمهور من الأمة بمن فيهم كبار علماء المعتزلة والأشاعرة والشيعة، وقد استدلوا لما ذهبوا إليه بأدلة كثيرة من أهمها:

١. يقول الله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨

فإن الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على عجز العرب مع بقاء قدرتهم، ولو سلبهم الله القدرة لم يكن للآية أية فائدة ولكان التحدي نوعا من العبث تنزه الله عنه جل ذكره(٤)، ولكان المعجز أيضا سلب قدرهم، وكل هذا بعيد كل البعد فلا محيص إلا من القول برد الصرفة.

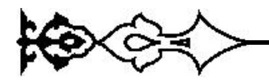
---

(١) ينظر المرجع السابق نفسه ص١٥٠.

(٢) ينظر المرجع السابق نفسه ص١٥٠.

(٣) ينظر المرجع السابق، كما ينظر خصائص التعبير القرآني للدكتور المطعني،ج١ ص١١١ .

(٤) ينظر: البيان في إعجاز القرآن للخطابي ص٢١، والرسالة الشافية للجرجاني، ص٦١٥، والإتقان للسيوطي، ج٢ ص١٠٠٦.





٢. الإجماع: احتج الإمام القرطبي على القائلين بالصرفة بأن كلمة المسلمين اتفقت قبل ظهور خلاف هؤلاء بأن الإعجاز القرآني بذاته وليس بالصرفة.[1] ويمكن أن يناقش هذا بأن حكاية الإجماع فيها نظر لاسيما أن كلمة الإعجاز لم تظهر إلا في القرن الثالث، وكذلك كلمة الصرفة، ومعلوم أن كلمة الإجماع اتخذت مطية للاحتجاج بها ضد الخصوم.



٣. واستدلوا أيضا بأنه يلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمن التحدي، وفي ذلك خرق ومناقضة للنصوص وإجماع الأمة القاضيين بأن معجزة الرسول هي باقية إلى يوم القيامة.[2]

٤. واستدلوا كذلك بأنه لو كانت معارضة الكفار للقرآن ممكنة في ذاتها، ثم صرفوا عنها لأمر ما، لما كان للقرآن إعجاز، وإنما المعجز هو الصرفة نفسها، وفي هذا هدم للآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وإجماع الأمة المعصومة القاضية كلها بأن الإعجاز في القرآن نفسه، وما دام الأمر كذلك فلا محيص إلا من القول برد الصرفة حتى تسلم النصوص الكريمة.[3]

٥. واحتج الجمهور بأن الله قد وصف القرآن الكريم بأوصاف ذاتية تجعله في منزلة لا يتوصل إليها بأي معجزات أخرى، ومن هاتيك الأوصاف قوله جل شأنه:﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج١ ص٥٤.

(٢) ينظر: الإتقان للسيوطي، ج٢ص١٠٠٦.

(٣) ينظر الرسالة الشافية للجرجاني، ص٦١٠ ـ ٦٠١٢.



الرعد: ٣١

ومن هنا كانت أوصاف القرآن ذاتية فوجب أن يكون إعجازه كذلك وهذا يؤدي بنا إلى أن نقول ونحن مطمئنون إنه يصعب بل يستحيل الإتيان بمثله[١] يقول الشيخ أبو زهرة: "وإذا كان القرآن بهذه الأوصاف التي وصفه بها منزله سبحانه وتعالى؛ أفيقال بعد ذلك أن الناس يستطيعون أن يأتوا بمثله؟ اللهم إن ذلك بهتان عظيم"[٢].

٦. أنه يلزم من القول بالصرفة أن يكون العرب قد تراجعت حالها في البلاغة والبيان وفي جودة النظم وشرف اللفظ وأن يكونوا قد نقصوا في قرائحهم وأذهانهم، وعدموا الكثير مما كانوا يستطيعون، كما يلزم القائلين بالصرفة أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم داخلا فيما دخل فيه العرب من النقص في الفصاحة والبيان، ومعاذ الله أن يكون الأمر كذلك فلا سبيل إلا من المصير إلى القول بتسفيه الصرفة.[٣]

المطلب الثالث: القول الراجح وأسباب رجحانه.

لقائل أن يقول إن قول السواد الأعظم من الأمة هو الذي جعلك تقول قولهم وترجح رأيهم خوفا من أن يقال خالفت الجمهور، فأقول: إن الحق أحق أن يتبع، وكل هذا لم يأت من فراغ بل من أدلة نقلية وقياسات عقلية واستنتاجات جلية تجعل قول الجمهور هو الظاهر على غيره، وعلى كل فإن الأسباب التي تجعل من المرء أن يعول في هذه المسألة على قول الجمهور هو ما يلي:

١. إن الأدلة التي جاء بها القائلون بالصرفة أخذت تتساقط واحدا تلو الآخر، وما ذلك إلا

(١) ينظر: الرسالة الشافية للجرجاني، ص٦١٧، والمعجزة الكبرى لأبي زهرة ص٧٤.

(٢) ينظر: المعجزة الكبرى لأبي زهرة ص٧٤.

(٣) ينظر: الرسالة الشافية للجرجاني، ص٦١٢ وما بعدها.



لأنها لم تغن عن أصحابها في سوق المناظرة والعلم شيئا.

٢. إن من أقوى ما استند إليه القائلون بالصرفة هو أن العرب قادرون على الإتيان بمثله ولو لم يصرفوا لأتوا بمثل القرآن لقوة بلاغتهم، وهذا في حقيقته مما يضحك الثكالى؛ ذلك أنهم سووا بين كلام الخالق والخلق، وأين هذا من ذاك فقد اعترف العرب خاصة صناديد قريش منهم بفصاحة القرآن وسجدوا لبلاغته ثم نكسوا على رؤوسهم وأخذوا يتخبطون تخبط العشواء في وصفهم للقرآن فمن قائل إنه سحر ومن قائل إنه كهانة ومن قائل إنه كذا وكذا، وقد نعى عليهم القرآن كل ذلك وتوعدهم بعبارة تتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ۝٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ۝٩١ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٣ ﴾ الحجر: ٩٠ – ٩٣

٣. ومما يضعف القول بالصرفة أن القائلين به لم يتفقوا على معنى معين للصرفة، وما ذلك إلا أنها بنيت على أساس هش﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ الرعد:١٧

٤. إن القول بالصرفة فيه خمول بل ويؤدي بالأمة إلى الكسل عن روح البحث والتنقيب في معجزات القرآن، وكم كان يجر هذا القول ـ لو أخذ به ـ إلى التقاعس، ولكن الله غالب على أمره فلا بد من أن يظهر معجزات قرآنه، يقول الأستاذ السيد محمد رشيد رضا: "... وهذا رأي كسول أحب أن يريح نفسه من عناء البحث وإجالة قدح الفكر في هذا الأمر". (١)

٥. إن القول بالصرفة يجعل تحدي القرآن العظيم للعرب الوارد في مثل قوله تعالى: :﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ

(١) ينظر: تفسير المنار للسيد رشيد رضا ج١ ص١٩٨.





ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ البقرة:٢٣ لاغيا لا قيمة له، وكيف يصوغ هذا، وتحدي القرآن الكريم باق بإجماع الأمة إلى قيام الساعة، وليس أمامنا هنا إلا أمران لا ثالث لهما، فإما أن نقول بالصرفة ونجعل التحدي لاغيا، وإما أن نختار بقاء التحدي ونلغي القول بالصرفة، وهو الأسلم والأوفق لما أراده الله ورسوله والمؤمنون.[1]

٦. ظهور وجوه إعجاز جديدة تتناسب مع روح العصر يضعف القول بالصرفة ويبعده عن البقاء فلم يبق إلا أن يزال من الوجود حتى يبقى القرآن درة الدهر ونور العالم يضيء للإنسانية دروبها﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ فصلت: ٥٣

(١) ينظر البيان في إعجاز القرآن للخالدي ص٨٢.



الخاتمة:

بعد جولة مع القرآن وعلومه والإعجاز وكتبه توصل الباحث إلى:

١. ذهب بعض العلماء من فرق متعددة ومذاهب مختلفة وأماكن عديدة وأزمنة مختلفة إلى القول بالصَّرفة واختلفوا في معناها إلى ثلاثة آراء فهي إما أن تكون ابتداء من الله، وإما أن تكون قسرية وإما أن تكون بسلب العلوم التي يحتاج إلى مثلها.

٢. جمهور الأمة نفوا القول بالصرفة ويرى الكثيرون منهم أن معجزة القرآن بيانية بلاغية.

٣. استدل كل فريق بأدلة كثيرة يغلب عليها الصيغ القياسية والوجهة الكلامية.

٤. القول بالصرفة ضعيف لضعف أدلته من ناحية، ومن جهة أخرى إنه يبث روح الكسل في الأمة، ومن نظرة ثالثة هو مخالف لظاهر الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

٥. القول بالصرفة دعا أهل العلم إلى البحث والاجتهاد تطبيقا للحكمة القائلة رب ضارة نافعة فهو نافع من حيث إنه أدى إلى الأخذ والعطاء وإبراز وجوه أخرى للإعجاز كانت ربما لن تظهر إلا بمثل هاتيك الردود.

٦. القول بالصرفة كثر فيه الأخذ والعطاء وخاصة من حيث نسبته إلى علماء أجلاء فضلاء لكنه ثبت عنهم بما لا يدع مجالا لقول قائل أو تشكيك مشكك من خلال ما سطرته أقلامهم وكتبته أيديهم.

توصيـــة: القول بالصرفة بحاجة إلى مزيد بحث ودراسة تنقب فيه وتبحث عن كثير مما غاب من مسائله، وتضع القائلين به في موضعهم اللائق بهم ـ كعلماء خدموا الأمة في وقت من الأوقات دون إفراط ولا تفريط لا تظلمون ولا تظلمون فهم أجلاء عندنا ولكن الحق أجلّ عندنا منهم ـ كما قيل-.

وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وآله وسلم.

قائمة المراجع والمصادر مرتبة حسب أسمائها وفق الترتيب الألفبائي:

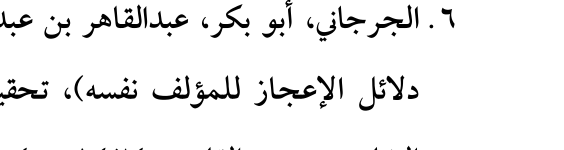
١ . الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد وعلي محمد عوض، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٢ . الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٣، دار المعارف مصر،١٩٧٧م.

٣. البديوي، علي، حقائق وأباطيل حول إعجاز القرآن، ط١، دار الكتاب الجامعي، مصر، ١٤٠٢هـ-١٩٩٢م.

٤ . الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر الحيوان، بتحقيق عبد السلام هارون، مصر د: ت.

٥. الجاحظ، أبوعثمان عمر بن بحر، حجج النبوة (ضمن رسائل الجاحظ) بتحقيق عبد السلام هارون، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.



٦. الجرجاني، أبو بكر، عبدالقاهر بن عبدالرحمن، الرسالة الشافية، (مطبوعة آخر كتاب دلائل الإعجاز للمؤلف نفسه)، تحقيق أبي فهر محمود محمد شاكر، ط٥، مكتبة الخاجي، مصر، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٧. الجويني، إمام الحرمين، عبدالملك بن عبدالله بن يوسف، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تحقيق أحمد حجازي السقا، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

٨. ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، بتحقيق أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٩ . الخفاجي، أبي محمد عبدالله بن محمد بن سعيد الحليمي، سر الفصاحة، شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح، مصر، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

١٠. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، الأردن، ط٣،

ط١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١١. الخطابي، أبو سليمان حَمْد بن حمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق حمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف، مصر، د ت

١٢. الخليلي، أحمد بن حمد، جواهر التفسير، أنوار من بيان التنزيل، ط. مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.

١٣. الدامغاني، حسين بن محمد، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق عبدالعزيز سيد الأمل، ط٥، دار العلم للملايين، لنان ١٩٨٥م.

١٤. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان د:ت.

١٥. الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

١٦. الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، لبنان ١٤٠٧هـ ٢٠٠٤م.

١٧. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق الدكتو ر مصطفى، ط١، دار ابن كثير، دمشق، سوريا وبيروت لبنان،١٤٠٧ـ١٩٨٧م.

١٨. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار التأريخ العربي، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٩. العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني الزيدي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط١ دار الكتب العلمية، لبان د:ت.

٢٠. الغزالي، محمد بن حمد، الاقتصاد في الاعتقاد، طبعة محمد علي، مصر القاهرة: د ت.

٢١. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، دار مكتبة الهلال، لبنان، ط١، ١٩٩٠م.

٢٢. القرطبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، بتحقيق أحمد الردعي،



مؤسسة التأريخ العربي، لبنان: د ت.

٢٣. قصاب، وليد، التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، ط١، دار الثقافة، قطر، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٢٤. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، أعلام النبوة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٥. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم المشهور بالمنار، ط١، دار الفكر، لنان د:ت.

٢٦. محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبة، مصر، ط٢، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٢٧. معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، طهران، إيران، ١٤١١هـ.

٢٨. المطعني، عبدالعظيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ط١، مكتبة وهبة، مصر، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٩. ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد وعبدالمنعم خليل، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٣٠. اليحصبي، عياض بن موسى الأندلسي، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق محمد أمين قرة وزملائه، ط١، مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن، دمشق سوريا،: د:ت.